لم يطب للنبوغ فيك مقام*

شعر : محمود حسن إسماعيل
مصر

لحن حزين هزته ذكرى الأديب العربي الخالد مصطفى صادق الرافعي.

لم يطب للنبوغ فيكِ مقام ... لا عليكِ - الغداة - مني سلامُ
المنارات تنطفي بين كفيـ ... ـكِ ! ويزهو بشاطئيكِ الظلامُ
والصدى من مناقر البوم يحيا ... ويموت النشيد والإلهامُ
قد حبوتِ النعيب ظلّكِ لكن ... أين قرت بشطك الأنغامُ
في هجير الأيام تمضي أغانيـ ... ـك حيارى ، يؤج فيها الضرامُ
عبرت مسبح الجداول ، والنهـ ... ـر ، وغابت كأنها أوهامُ
تسكب السحر من شفاهٍ عليها ... مصرع السحر : لهفة ! وأوامُ
تسكب العطر والخمائل صفر ... مات في الأيكِ نورها البسامُ
تسكب البرء من جراح عليها ... ترعش العمر شكوة وسقامُ
أنتِ (يا مصر) : واصفحي إن تعتَّبْـ ... ـت وأشجاكِ من نشيدي الملامُ..
قد رعيتِ الجميل في كل شيء ... غيرَ ما أحسنتْ به الأقلامُ
من روابيكِ خف للخلد روح ... قد نعاه لعصرك الإسلامُ
لبست بعده العروبة ثوبا ... صبْغ أستاره أسى وقتامُ
لم تُفِقْ من شجونها فيه (بغدا ... د) ولا صابرت أساها (الشامُ)
وعلى (بلدة المعز) دموع ... خلَّدت ذكره بها الأهرامُ
صاحب المعجزات أعيت حجا الدنـ ... ـيا ، وعيَّتْ عن كشفها الأفهامُ

* * *

يَخْبأ الحكمة الخفية في الوحـ ... ـي كما تخبأ الشذى الأنسامُ
ويزف البيانَ كالسلسل المسـ ... ـكوب تهفو بشطِّه الأحلامُ
فإذا رق خلته قُبَلَ الفجـ ... ـر على نارها يلذ المنامُ
أو حديثَ النسيم للزهرة السكـ ... ـرى ، من الطلِّ كأسُها والمدامُ
أو حفيفَ السنابل الخضر .. رفت ... في رباها قنابر ويمامُ
أو دعاءَ النُّساك .. أبلت صداهم ... في حمى الله سَكْرة وهيامُ
وإذا ثار خلته شُهُبَ الليـ ... ـل أطارت لهيبَها الأجرامُ

* مجلة الرسالة ، العدد ٢٥٥ ، ٢٣ أيار / مايو ، ١٩٣٨م.

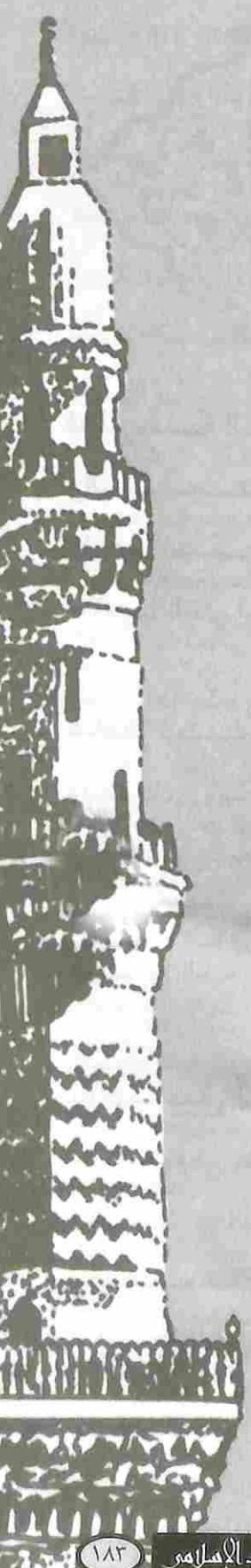

أو شواظا مسطَّرا ... قذفته ... من لظى العقل هَيْجة وغُرامُ
أتعب الجاهدين خلف مراميـ ... ـيه بقصد مناله لا يرامُ
أَصْيَدُ الفكر واليراعة والوحـ ... ـي .. على كبره يُفل الحسامُ
حيَّر النقد أن تروع المعاني ... عن مريديه ، أو تنِدَّ السهامُ
فانزوى الحاسدون ... إلا فضولا ... لا يداريه عائب شتامُ
قد سقاهم من سنه مصرع الرو ... ح وإن لم تلاقه الأجسامُ
فَلْتقمْ بعد موته ثورة الشا ... ني فقد فارق الوغى الصمصامُ
وله الشأن .. عزةٌ وخلودٌ ... ولهم شأنهم صدًى وكلامُ

* * *

إيه يا ساقي «المساكين» كأسا ... لم تسلسِلْ رحيقَها الأيامُ
قد جعلت الآلام «وحيك» حتى ... فجَّرت نبعَها لك الآلامُ
ما الذي كان في «سحابتك الحمـ ... ـراء » إلا الشجونُ والأسقامُ
كنت في عزلة مع الوحي تشكو ... ولشكواك كاد يبكي الغمامُ
تمسح الدمع من عيون اليتامى ... وببلواك ينشِجُ الأيتامُ
صنت عهد البيان لم ترخصِ القو ... ل، ولا شاب سحرَك الإعجامُ
وتفردت بالصياغة ... حتى ... قيل في عالم البيان : إمامُ
ووهبت (الفرقان) قلبك .. حتى ... فاض من قدسه لك الإلهامُ
فبعثت «الإعجاز» كالشمس منه ... يتهدى على سناه الأنامُ

* * *

فقم اليوم ! وانظر الشرق . ضاعت ... من يديه مواثقٌ وذمامُ
مزقت قلبه الذئاب من الفتـ ... ـك .. ونام الرعاة والأغنامُ
في (فلسطين) لو علمت جراح ... ما لها في يد الطغاة التئامُ
وطن الوحي ، والنبوات والإلهـ ... ـهام ... أودى ! فعاث فيه الطَّغامُ
جذوة في جوانح الشرق تغلي ... فيروع السماء منها اضطرامُ
يُذْبح القومُ في المجازر - فرط الظـ ... ـلم فيها - كأنهم أنعامُ
ويهان (المسيحُ) في موطن القد ... س ، ويشقى بأرضه الإسلامُ
وحماة البيان خُرْس .. كأن الذ ... ود عن كعبة الجدود حرامُ
إيه يا «مصطفى» وفي القلب أشجا ... ن ! وفي الصدر حُرْقة وضِرامُ
ليت لي سمعك الذي كرم اللـ ... ـه صداه ! فمات فيه الكلامُ